دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، خریف ۱۳۹۲، العدد التاسع عشر: صص ۶۹ - ۸۹

الطبیعة وما فیها من التعالیم القرآنیة من موقف الراوندی والقرطبی

مجید خزاعی *

محمدرضا ستوده نیا **

سید مهدی لطفی ***

الملخص

الطبیعة تتکون من عناصر الأرض والماء والهواء، والکائنات من النباتات والحیوانات وعلاقاتها البیولوجیة المتوازنة. هذه الثروة الغنیة، هی الهدیة الإلهیة التی مُنحت علی الکائنات الحیة، لصالح جمیع المخلوقات، حتی یبذل البشر جهده فی إعمار الأرض ویعمل فی استبقاء سیاق بیئة مناسبة لجمیع المخلوقات. لذلک ینبغی تذکیر حق الإنسان فی استخدامها من القضایا المهمة فی مجال حقوق الإنسان. فی هذا المقال نتطرق إلی تعریف العناصر الأساسیة للطبیعة والبیئة المعیشیة للإنسان فی الموقف القرآنی؛ کما نبین الآیات المرتبطة بهذین المجالین بالأسلوب التفسیری الفقهی للإمامیة وأهل السنة الذی یستمد من کتابین «فقه القرآن» *للراوندی* و«الجامع» *للقرطبی*. فنرتکز علی الإنسان و تعاملاته مع الطبیعة و نقوم بإثبات فرضیة مسؤولیة المتعدی إلی حقوق الطبیعة الأخلاقیة والمدنیة والجنائیة.

الکلمات الرئیسیة: التفسیر الموضوعی والتفسیر القانونی، القرآن الکریم، القرآن الکریم والطبیعة، حقوق الطبیعة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* طالب الدکتورا فی فرع علوم القرآن والحدیث، جامعة اصفهان وعضو هیئة التدریس بجامعة آزاد الإسلامیة فی جیرفت(هذه المقالة مستخرجة عن رسالة الدکتورا). **majidkhazaei@yahoo.com**

** عضو هیئةالتدریس فی فرع علوم القرآن والحدیث بجامعة اصفهان(استاذ مشارک).

*** عضو هیئةالتدریس فی فرع علوم القرآن والحدیث بجامعة اصفهان(استاذ مساعد).

الکاتب المسؤول: مجید خزاعی

المقدمة

الطبيعة التى تشكل فيها البيولوجية للنباتات والحيوانات ولا تزال تستمر، فلها أهمية كبيرة على حدٍّ تعتبر كأهم المواضيع فى بيولوجية الإنسان والكائنات الحية الأُخرى. من ناحية أُخرى الثقافة والحضارة الصناعية تهدّد حياة البشر فى عصرنا هذا؛ وحضارته المدنية التى ترتبط بالعلاقات الاجتماعية وتفاعل البشر مع الطبيعة كبيئته المعيشية تدعو كل دارس دينى إلى الخوض فى النصوص الدينية لإدراک موقف الدين فى هذا المجال. فالقرآن الكريم أهم مصدر لمعرفة موقف الدين الإسلامى فى مجال الطبيعه والبيئة المعيشية الإنسانية. فيقول إلى الإنسان كيف يتعامل مع الطبيعة للتمتع بها وتلبية احتياجاته.

الدراسات القرآنية التى يستعرض الطبيعة والبيئة المعيشية الإنسانية إلى القرآن الكريم، يستحوذ على مواقف هذا الكتاب السماوى فى مجال وصف الطبيعة، والأوامر والنواهى فى العلاقات الإنسانية معها. من أجل الفهم الصحيح لسؤال البحث يجب فى الوهلة الاولى ذكر المبادئ الحملية والتحققية من الرأى العام والإمامية التى فعال فى فهم المشكلة بالإيجاز. لكننا بالنظر على الموضوع الفقهى لهذا المقال نحاول لتحديث التفاسير الفقهية فلذا نتكلم قليلاً عن التعريف *بالقرطبى والراوندى* وتفسيريهما.

١.التعاريف

١-١.التفاسير الفقهية

التفاسير الفقهية هى تفاسير تنتمى إلى تفسير الآيات المرتبطة بالأحكام الشرعية التى تتعلق بعمل المكلف(التكليفية أو الوضعية) فحسب، ولهذا تعتبر من التفاسير الموضوعية(معرفت، ١۴١٩ق، ٢٠: ٢٢٨). فلأننا فى هذا المقال نبحث عن العقائد الفقهية – الأخلاقية للتمتع بالقرآن الكريم ذهبنا إلى التفسيرات القرآنية. فاخترنا منها تفسيرين فقهيين يهتم بهما بحثاً و تاريخياً فى الإمامية وأهل السنة وهما «الجامع لاحكام القرآن» و«فقه القرآن».

۱-۲.التعريف الموجز بالقرطبی وتفسيره

كُتب تفسير «الجامع لأحكام القرآن» على يد محمد بن *احمد الأنصاری القرطبی*(۵۷۸-۶۷۱هـق) وطابعه الخاص فی تفاسير أهل السنة الأخری هو ارتباطه الوثيق بالفقه. الكاتب ورد فی مجال الفقه بشكل واسع وفی بحثه الفقهی يتناول مواقف مذاهب الإسلامية المتنوعة مع أنّه تخصّص الحصةَ الكبری للفقه الشافعی. *فالقرطبی* يتطرق إلى المباحث الفقهية ذيل الآيات القرآنية قدر الإمكان؛ و إذا لا ترتبط الآية بأی مسألة فقهية فيتناول جوانبها الأُخری ويفسّرها. فتفسير *القرطبی* هی موسوعة فقهية كاملة. «الجامع لأحكام القرآن» تعتبر من أهم المصادر فی التعرف بالآيات القرآنية والحصول على مواضيعها وخاصة آيات الأحكام الذی مَلیءٌ بالدراسات الفقهية والتاريخية والنقد والتحليل الأدبی(مهدوی راد، ۱۳۹۱، ۲۳: ۲).

۱-۳.التعريف الموجز بالراوندی وتفسيره

قطب الدين ابوالحسين سعيد بن عبدالله بن حسين بن هبةالله الراوندی الكاشانی(متوفی ۵۷۳هـق) عرف *بالقطب الراوندی*. فكان محدثا ومفسرا وكلاميا وفقيها وفيلسوفا ومورخا كبيرا شيعيا فی القرن السادس من الهجرة. فتلمّذ عند *الشيخ الطبرسی* صاحب تفسير «مجمع البيان» كما كانت عنده مؤلفات كثيرة وكتابه «الخرائج والجرائح» أكثرها صيتاً. ومقبرته فی ضريح *سيدة معصومة*(س) بقم المقدسة.

فمن مؤلفاته تفسير «فقه القرآن»؛ وهو فی هذا الكتاب بوّب الآيات القرآنية على أساس أبواب الفقه فی مجلدين، وفسرها تفسيرا فقهيا بعد ذكرها. يبدو أن *الراوندی* أول الفقيه من الفقهاء الإمامية الذی يهتمّ بشرح وتفسير آيات الأحكام، فهو بتأليف هذا الكتاب كان بصدد التعويض عن قصور غياب مؤلفات حول آيات الأحكام والعقائد الفقهية للقرآن. من هذه الوجهة يعتبر تفسير *الراوندی* أول تأليف فی البحوث الفقهية القرآنية للشيعة ولو أَلّفوا قبل *الراوندی* فی هذا فما كان شاملاً. فهو استمدّ من العلوم المتنوعة كالعلوم الأدبية والقرآنية والفقهية والحديثية لتفهيم معنى الآيات المرتبطة بالأحكام. وفی النهاية يجعل جهده التفسيری فی خدمة الإستنباط الحكمی من آية المقصودة(عليزاده، ۱۳۹۱، ج۱: ۴۲۴). هذا التفسير خصّص لنفسه مكانا خاصّا فی التفاسير الفقهية الشيعية لشموله

وترابط مباحثه المنطقی ونتناولها فی هذا المقال لـنفس هـذه المیـزات الخاصـة. تفسـیر *الراوندی* أو «فقه القرآن» أول تألیف فقهی فی مجـال آیـات الأحکـام کمـا صـرّح مؤلفـه نفسه(الراوندی، ١۴٠۵ق، ٣: ١).

٢.المبادئ الحملیة والتحققیة

٢-١.مفهوم الطبیعة والبیئة المعیشیة للإنسان وعلاقتها بالأخلاق

الطبیعة عبارة عن الکائنات التی ما کان دورٌ للبشر فی صناعتها. فالبشر کان یعیش فی الطبیعة قبل سکونته فی البلاد. والطبیعة مجموعة من الظـواهر الطبیعیـة والتعـادل بـین العناصر التی تعطی ضمانات حیاة بیولوجیکیة للنبات والحیوان. والبیئة المعیشیة للإنسان هی عبارة عن علاقة تفاعلیة بینه وبین النُظُم والبیئة التی تتشکل فیها.

«الإنسان یعیش فی عالم الطبیعة والمـادة؛ وهـذا العـالم یجـب أن یفـتح حتـی تـوفر للإنسان مرافق الحیاة. فالإنسان یتبنی أُسـلوب حیاتـه بایجـاد الظـروف الضـروریة للبقـاء وإرضاء الحوائج المعینة فی داخل نظام اجتماعی معین وتـاریخ معـین»(الماسـی، ١٣٧٧: ١۶٩).

٢-٢.القرآن والطبیعة

یشیر القرآن الکریم فی أکثر من ٧۵٠ آیة إلی الظـواهر الطبیعیـة ویعتبرهـا کالآیـات الإلهیة. فتبین القرآن الکریم کثیراً من تمثیلات وتبییناته مستعیناً بالطبیعـة وطلـب مـن الإنسان أن یتدبر فی الآیات الإلهیة(رستمی، ١٣٨٠: ١). إلی أنّ کثیر من السـور القرآنیـة سُمیت باسم عناصر الطبیعة کالبقرة، الرعـد، النحـل، النـور، النمـل، العنکبـوت، الـدخان، النجم، الجن، الفجر، الشمس، الحدید، اللیل، الضحی، القمر، التین، العلـق، النـاس، الفلـق، البروج وهذه التسمیات تدلّ علی أهمیتها فی الثقافة القرآنیة وضرورة الألفة معها.

فالقرآن یعتبر الطبیعة کتمثل لعظمة الله تعالی وقدرته کما هو مظهر علمه؛ فیمجّـدها بأجمل الصور وتبیین العلاقة الصحیحة بین الله تعالی والطبیعة وعلاقة الطبیعـة المعقولـة مع الإنسان أیضا بشکل جید، وقـد منحـت للإنسـان المعرفـة الصـحیحة والمنطقیـة مـن الوجود والطبیعة. القرآن الکریم هی وثیقة نهائیة للوحی التـی تشـتمل علـی المقترحـات

الوصفية من الطبيعة، والمقترحات الأمرية بالنسبة إلى علاقة الإنسان مع الطبيعة التی توصلنا بالقواعد الأخلاقية والحقوقية فی مجال الطبيعة والبيئة المعيشية للإنسان. فنعرض فی هذا المقال النظر التوصيفی القرآنی على الطبيعة والأُسوة التفاعلية المطلوبة لها.

۳-۲.الأخلاق والطبيعة

الطبيعة بمعناها العام وسيع المدى على حد يشتمل على نوعية حياة الإنسان علاوة على عناصر الطبيعة وتوازنها. فالإنسان باستخدام الطبيعة وتسخيرها وباستخدام قوة نفسه للخلق يقدر آن يلتفق عناصر الطبيعة مع عناصر كيفية حياته فی البيئة المعيشية، العملية، النزهة وفی النتيجة يتعالى بيئته المعيشية كما يتمتع بالطبيعة ويخلق آثارا فی الثقافة والتاريخ والمعنويات التی ينتهی بخلق الأخلاق والآداب التعاملية مع الطبيعة، وينبغی أن يذكر تحت عنوان أخلاق الطبيعة.

۴-۲.حقوق الطبيعة

بالنسبة لكلامنا «حقوق الطبيعة» هو مجموعة من الإلزامات التی يبين أعمال الإنسان على عناصر الطبيعة، وينتظمها وفی النهاية يتضمن نوعية حياة أفضل.

۳.التعاليم القرآنية فی العلاقة مع الطبيعة

يعتبر القرآن الكريم أهم وأكمل كتاب سماوی، وينطوی على المفردات الرئيسية التی مؤثر فی معرفة الطبيعة وعناصرها المكونة والتوجيهات الأخلاقية والمتطلبات القانونية ذات الصلة بها. مفردات الخلق، الرحمة، الآية، الخلافة، والملكية من المفردات التی تظهر موقف القرآن الكريم فی هذه المجال.

۱-۳.الخلق

الله تعالى هو مبدأ تكوين الخلقة. فالقرآن الكريم يختص الحمد والتسبيح لله الذی هو خالق السماوات والأرض:

﴿الحَمدُ لِلَهِ الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرضَ... ﴾(انعام/ ۱)

فتقول الآية خلقَ الله تعالى جمال الدنيا للمؤمنين:

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

مع أنّه يتمتع الكفار بهذا الجمال تالى المؤمنين ولكنّ اصله خُلق للمؤمنين، فى الدنيا كلاهما يستطيعان أن يستفيدا من هذا الجمال ولكن فى الآخرة يتمتع به المؤمنون فقط(الراوندى، ۱۴۰۵،ج۱: ۱۶۷).

وهكذا الظواهر والمخلوقات تتمتع بحسن الخَلق، وسبب هذا الحسن هو أنها تمّ إنشاؤها فى سياق العدالة. كما يقول *النبى الأكرم*(ص): «بالعدل قامت السموات والأرض»(ابن ابى جمهور، ۱۴۰۵، ۱۰۳: ۴)، وفى الأصل "العدل" هو ميزان الله تعالى فى خلق الكون:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾(الرحمن/ ۷)

الخلقة تم تشكيلها على أساس الحق الذى يصاحب العدل:

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ... ﴾(الأحقاف/ ۳).

فلذلک الله تعالى استمتع كل مخلوق حسب كفاءته وجعله فى طريق التكامل:

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه/ ۵۰)

على هذا الأساس خلقُ الكون أمرٌ جديرٌ بالثناء(القرطبى، ۱۴۰۵،ج۱۱: ۲۰۴).

الطبيعة من مصاديق الكائنات التى بنيت على أساس التوازن والخير والجمال، لذلک نظم الكون يوجّهنا إلى معرفة التوازن البيولوجى والحفاظ على جمال الطبيعة بوصفها اليمين الأساسية. ومن خلق الكائنات الحية نجد أنّ لديهم موهبة العيش والبقاء. هذه الموهبة الطبيعية هى أهمّ الوثائق لتحديد حقّهم فى تحقيق التوازن الايكولوجى. ولذلک حق التمتع بالطبيعة الناتج من منح الخلق والهداية لها من وجهة نظر القرآن يُعتبر حق شامل لكل كائن حىّ وخاصة الإنسان.

وفقاً لآيات من القرآن الكريم كل المخلوقات يتمتعون بالرحمة الإلهية:

﴿... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ... ﴾(الأعراف/ ۱۵۶)

التى لا نهاية لها فى الشمول والعمومية ويشتمل على كل فرد وكل شىء(القرطبى، ۱۴۰۵، ۲۹۶ : ۷)؛

﴿... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً... ﴾(غافر/ ۷)

تؤكد النصوص الدينية على شمول رحمة الله تعالى على كل الأشياء: «اللهم إنی اسئلک برحمتک الّتی وسعت کلّ شیء» و من أهم الخصائص لهذه الرحمة تقدمها للغضب الإلهی: «یا من سبقت رحمته غضبه». و هكذا الرحمة الإلهية السابقة تيار السائد والمستمر. فبالتالی يمكن القول بأنّ الإصالة للرحمة فی خلق الكون و الطبيعة(مطهری، ۱۳۵۳: ۲۴۶).

ومن أبرز تجليات الرحمة الإلهية هی قدسية الطبيعة، فالقدسية ميزة الخلق. وتوجد فی الطبيعة الأدلة الواضحة لمؤسسية هذه الصفة على سبيل المثال البحار والنباتات تأخذ الغاز "أنهيدريد الكربونيک" فتنقی الهواء والغلاف الجوی. إذا لم يتمّ تكرير الهواء من قبل المصافی التی أنشئت فی قلب الطبيعة كان يفتقد الغلاف الجوی للأرض كفاءته البيولوجی بعد فترة وجيزة لأنه كان من المستحيل التنفس فيه. تحليل جثث الحيوانات التی تموت وعمليات تحلل الزوائد التی تفرز الكائنات الحية مثال آخر من الصقل وتنقية الطبيعة.

تغلب الرحمة الإلهية فی الكون هو دعم لإصالة الصحة والطهارة فيها. هكذا كتاب خلق الطبيعة هی السلطة المختصة للتعرف على الكيانات القانونية الحقيقية للكائنات الحية التی تعيش فی الطبيعة أو ستعيش فی المستقبل. الحق فی الصحة والنظافة، يعتبر من الحقوق الأساسية للطبيعة والبيئة البشرية. لذلک الأنشطة الصناعية والاقتصادية هی مقبولة إلا إذا كانت لا تتعارض مع صحة ونظافة الطبيعة. فی النصوص الدينية، يرد الله كما هو النظيف ومحب النظافة(نهج الفصاحة: شماره ۷۰۳) ولا يوفر الجنة إلا للمطهرين(نهج الفصاحة: شماره ۶۱۲) وتؤكد على نظافة القصوى وتعتبر أساس الإسلام على النظافة(نهج الفصاحة: شماره ۱۱۸۲).

۳-۳.الآية

القرآن الكريم يعرّف السموات والأرض آية من مجد الله:

﴿خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ والأرضَ بِالحَقِّ إِنَّ فِی ذَلِکَ لآيَةً لِلمُؤمِنِينَ﴾(العنكبوت/ ۴۴)

﴿وَمِن ءَايَاتِه خَلقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَاختِلَفُ أَلسِنَتِكُم وَأَلوَانِكُم إِنَّ فِی ذَلِکَ لآيات لِلعالِمِينَ﴾(روم/ ۲۲)

و الله تعالى يعتبر نمو النباتات فی الأرض من آياته:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(الشعراء/ ٨-٧)

كما تعتبر حياة النحل وتمتعه بزهرة الرحيق لإنتاج العسل آية وعلامة لأهل التعقل:

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(نحل/ ٦٧)

فمن العجب أنّ *القرطبی* ذيل كلمة «سكرا» يناقش بالتفصيل فی خمس صفحات ولكنه فی نهاية المطاف، لا يذكر الهدف النهائی والتعقل(قرطبی، ١٤٠٥،٢: ١٢٨-١٣٣).

لذلک فی ايدئولوجية القرآن الكريم تعتبر الطبيعة من أمثلة الوحی الإلهی. فالطبيعة مظهر من مظاهر الله والإنسان يتلقی فی كل نقطة منها الحضرة الإلهية:

﴿...فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ... ﴾(البقرة/١١٥)

على الرغم من أن هذه الآية تتحدث عن القبلة و*الراوندی* يعتبرها مرتبطة بقبلة المصلی فی الرحلة(الراوندی، ١٤٠٥، ١: ٩١)، و*القرطبی* يعتبر هذه الآية لمصلٍّ فشل فی كشف القبلة بسبب الغطاء السحابی ولكن بعد ذلک اتضح أنه ليست صلاته إلى القبلة. فی هذه الحالة يستحب إعادة الصلاة وبطبيعة الحال إذا كان وقت الصلاة باقياً(القرطبی، ١٤٠٥،٢: ٨٠). ولكنّ بداية هذه الآية تشير ما لدينا بوضوح(الراوندی، ١٤٠٥،١: ١٤٤):

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾

وكما يقول *القرطبی* هذه الآية دالة على ملكية الله على المشرق والمغرب(القرطبی، ١٤٠٥،٢: ٧٩).

القرآن الكريم يعتبر السماء والنجوم والشمس والقمر والغيوم والمطر والرياح، والسفن فی عرض البحر، والنباتات، والحيوانات، وأخيرا كل ملموس يرى الإنسان من حوله باعتباره من القضايا التی تحتاج إلى أن يفكر فيها(مطهری، ١٣٨١، ج٢: ٧٠) كما يدعو الإنسان بالعناية ودراسة السماوات والأرض:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾(يونس/١٠١)

فالقرآن الكريم يعتبر أنحاء الخلق، كأعراض وعلامات الإلهية فی معرفة الحقيقة، ويعبّر عن عالم الخارج من الإنسان بالآفاق:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ... ﴾(فصلت/٥٣)

الذی ینبغی أن نفکر فیه:

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ... ﴾(آل‌عمران/۱۹۱)

حتی یتمّ اکتشاف الحقایق والسنن والآیات الإلهیة. من أهم هذه الحقایق التی یمکن الحصول بها بالتفکر والتدبر هی أن الطبیعة تمّ إنشاؤها للحدوث وبقاء الکائنات الحیة ولذلک الحفاظ علی التوازن البیئی للطبیعة هو حق أصیل للکائنات الحیة. الطبیعة هی علامة تحکی عن السنن الإلهیة مثل الکائنات الحیة والحاجة للحفاظ علی إنتاجیة بقائهم علی قید الحیاة. السنن التی یمکن أن ینتزع منها الحقّ فی الحیاة والحقّ فی التمتع من الطبیعة لجمیع الکائنات الحیة خاصة البشر. فالطبیعة هی آیة ملموسة لقوة الله الذی فی نظامه التنموی العادل منح الحیاة لمخلوقاته کبیرها وصغیرها. فهو یعتبر نظام التنموی المقدس ویجب علی البشر تنسیق أنشطتها علی وجه الأرض لتفعّله حیال ذلک. تلوث العناصر الطبیعیة مثل المیاه والتربة والهواء، وتدمیر الطبیعة هو العدوان والإیذاء فی تطویر النظام الإلهی المقدس.

۴-۳.الخلافة

قدّم الله فی القرآن الکریم، الإنسان کخلیفته فی الأرض:

﴿...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴾(البقرة/۳۰)

واعتبر سرّه علم الأسماء الذی علّمه للآدم:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا... ﴾(البقرة/۳۱)

أو ألهمه(القرطبی، ۱۴۰۵،ج۱: ۲۷۹).

نقل «تفسیر القمی» من *الإمام علی*(ع) حول المقصود من «الأسماء» فی الآیة الشریفة: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا... ﴾: «هی أسماء الجبال والبحار والعقاقیر والنباتات والحیوانات» (القمی، ۱۴۰۴،ج۱: ۴۵)، و نقل *العلامة الطباطبایی* فی «المیزان فی تفسیر القرآن» روایة عن *داوود بن سرحان العطار*: کنت فی حضرة *الإمام الصادق*(ع) فأمر أن یحضروا طعاماً فأکلنا، ثم أمر أن یحضروا مغسلة وسنان. قلت: روحی فداک! ما هو المقصود من « الأسماء» فی آیة ﴿ وعلم آدم الاسماء... ﴾ هل نفس هذه المغسلة والسنان جزء منها؟ فأجابنی: الودیان والضیق والصحاری جزء منها وأشار بیده إلی الأطلال

والأحواض(الطباطبايى، ١۴٠۵، ج١: ١٢٠)؛ و وفقاً لما قال *القرطبى* «الإسم هو أى شىء ما كانت الملائكة قادرات على تعلّمه»(القرطبى، ١۴٠۵،ج١: ٢٧٩). هكذا جعل الإنسان كخليفته فى الأرض ومنحه قدرة الإستيلاء على الطبيعة حتّى يعمرها: ﴿...وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ (هود/ ۶١) وطلب منكم إعمارها والسكونة فيها(القرطبى، ١۴٠۵، ۵۶ : ٩) ودعا الإنسان ألى التمتع بمواهبه وفضله فى الأرض: ﴿...وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...﴾(الجمعة/ ١٠)، حتى يسير فى نواحيها و يتمتع بأرزاقها:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملک/ ١۵)

الإنسان هو خليفة الله فى إعمار الأرض ليدبر الأمور من قِبل الله تعالى(الراوندى، ١۴٠۵، ٢ : ۵).

ومع ذلک يتطلب هذه الخلافة بأنّ الإنسان نفسه أو مطابق لأوامر الأنبياء يحفظ هذه الأمانة الإلهية بوجه حسن ويحفظها من أىّ خراب ودمار، ويحاول فى الإعمار وإنتاجيتها بعلمه ويتضمن توفر البيئة البيولوجية للكائنات الحية جمعاء. ورمز التمتع بالطبيعة مع التحفظ بتوازنها البيولوجى هو ذكر الله تعالى والتذكر بخلافته فى الأرض والقبول بإحاطة ذاته القدسى على كل شىء: ﴿...وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾(النساء/ ١٢۶).

فيتجنب من تلوث الطبيعة وانتاجيتها غير صحيحة العلماءُ بسنن الحاكمة على الطبيعة والملتزم على التزاماتهم فى الخلافة بحتاً، وينطبق كل جهودهم فى الحفاظ على توازن الطبيعة وبما أنّ الله هو حفيظ للطبيعة وجميع الموجوادت فيها : ﴿...إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾(هود/۵٧) فعلى خليفته أيضاً الحفاظ على المواهب والموارد الطبيعية من النباتات والحيوانات عن تدمير والتدهور. بمعنى آخر الأرض والماء والسماء والطبيعة هى الودائع الإلهى التى أودع له وأُنشئت لإنتاجيته المتوازنة. لهذا الإنسان هو مسؤول للحفاظ على الطبيعة(نصر، ١٣٨٢: ٢٠۴).

النبى الأكرم(ص) يؤكد على احترام الأرض، ويعتبرها كأُمٍّ يُرتزق منها التى تخبر عن الأعمال البشرية صالحها وفاسدها أيضاً: «تحفّظوا من الأرض فإنّها امّكم وإنّه ليس من أحدٍ عاملٍ عليها خيراً أو شرّاً الا وهى مخبِرة به»(نهج الفصاحة: ٢٢۶). من الأمور التى تخبر الأرض منها هى نوعية الإنتاجية وحماية الإنسان من عناصرها ومواردها. الدستور التشريعى للجمهورية

الإسلامية الإيرانية على أساس تعاليم القرآن والسنة النبوية قرّر فى أصل الخمسين فى مجال حفظ الطبيعة: «فى الجمهورية الإسلامية يعتبر واجبا للعام الحفاظ على الطبيعة التى يستحق للجيل اليوم والجيل القادم أن يتمتع فيها بالحياة الاجتماعية المتنامية؛ لذا الأنشطة الاقتصادية وغيرها من الأنشطة التى تسبب تلوث الطبيعة أو تدميرها غير قابلة للاسترداد هى محظورة».

٥-٣.التسخير

الطبيعة مسخّرة للإنسان على أساس التعاليم القرآنية. *الراغب الإصفهانى* فى «المفردات» يعتبر "التسخير" بمعنى التقاط الحركة والقوة الدافعة إلى الهدف المعين(الراغب الإصفهانى، ١٣٧٦ :٢٣٢)؛ ويعتبرها *القرطبى* فى «الجامعات» بمعنى الهيمنة أو استخدام الشيء مع السلطة(القرطبى، ١۴٠٥، ٢٥٩ : ١٨).

تحكى آيات كثيرة من القرآن الكريم عن تسخير الكائنات الطبيعية للإنسان وهذا بمعنى ترويض هذه المخلوقات لأجل استخدام البشر. كما يقول: ﴿...وسخَّرلكُمُ‌الأنهارَ﴾ (ابراهيم/٣٢) و﴿...وسخَّرلكمُ‌الشمسَ والقمرَ﴾(ابراهيم/٣٣) و﴿وسخَّرلكمُ‌الليلَ والنهارَ...﴾ (النحل/٣٣) و﴿وهوالَّذى سخَّرالبحرَ لِتأكلوامنه لحماً طَرياً...﴾(النحل/٣٣)، وفى النهايَة يعتبر تسخير كل الكائنات للإنسان: ﴿أَلَم‌تَرَأنَّ‌اللهَ سخَّرَلكم‌ما فى الأرضِ﴾ و ﴿ وَسَخَّرَلَكُم‌مَّافِى السَّماوَتِ وَمَافِى الأرضِ جَمِيعاًمِّنهُ﴾(الجاثية/١٣).

ويعتقد بعض المفسرين أن جميع المخلوقات مسخّرون بأمر الله لصالح البشر، سواء كانوا مسخرين بأمر الإنسان أم لا وهكذا «لام» فى «لكم» تعتبر لام المنفعة(مكارم شيرازى، ١٣۶٢، ۶۴ : ١٧). ويعتقدون البعض الآخر حول آية:

﴿ألم‌تَرَوا أن‌اللهَ سَخَّرَلَكُمْ مَافِى السّماوات ومافى الأرض... ﴾

بأنّ هذه اللام لتعليل الغاية بمعنى أنّ الهدف من تسخير المخلوقات هو لإنتاجية الإنسان من السماوات والأرض(العلامة الطباطبايى، ١۴٠٥، ٢٢٩: ١۶).

وذلک سواء كانت"للمنفعة" أو "الغاية" فتسخير الطبيعة متوقعا لصالح الإنسان طول حياته، وهذا يحكى عن الواقع القانونى المهم وهو أن التمتع بالسماوات والأرض والمخلوقات هو حق لجميع البشر، وأى حيازة والتمتع بالطبيعة لا ينبغى أن تكون غير

متوافقة مع حقوق الإنتاجية للآخرين. الطبيعة فی تسخير الإنسان حتی يتمتع بالكائنات لكنّ هذا التمتع لو ينتهی إلی فقدان الأنواع المتنوعة من الكائنات الحية، وتمنع استخدام البشری فی المستقبل ويعتبر كفران النعم الإلهية ودليلاً قاطعاً علی التعسف فی استعمال الحق.

واحد من مشاهد تسخير الكائنات والسماوات والأرض للإنسان هو تسخيرها العلمية بمعنی أن الإنسان يتمتع بالقدرات العلمية، علی حد يستطيع أن يحيط علی التقاليد والقواعد الحاكمة علی الكائنات فی الطبيعة والنباتات والحيوانات. ووفقا للتعرف بخصائصها الجمادية والنباتية والحيوانية يدبّر الأمور للتحفظ بوجودها ويخطو خطوات لتنمية حياة الكائنات الحية. ولكن من المؤسف أن البشر مع سوء استخدام لقدراتها العلمية والبناء واستخدام الأسلحة النووية والكيمياوية يضر إلی الحياة البيولوجية والكائنات الحية بشدة.

هذا السلوک مع الكائنات الحية يتنافی مع هدف تسخير الحيوانات للبشر؛ لأنّ تتوقع هذه القدرات العلمية لإزدهار الطبيعة وتطورها إلی حد الأقصی.

الامام علی(ع) يعتبر استخدام قدرة التسخير علی أساس التقوی لأنّ يجب علی الإنسان رعاية حقوق بيئته المعيشية والكائنات الحية. فيقول: «اتقوا‌الله‌فی‌عباده‌وبلاده‌فانكم مسؤولون‌حتّی‌عن‌البقاع‌والبهائم»(نهج البلاغة، خطبه ١٦٦: ٣٨٥) مع أنّ القرآن الكريم يعتبر للإنسان حق الاستيلاء علی البحر والأنهار والشمس والقمر والليل والنهار ويذكره بتنوع بركات الله التی لا تحصی لكنّه يقدم الإنسان كمخلوق ظلوم وكفار:

﴿وَءَاتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعمَتَ اللهِ لَا تُحصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (ابراهيم/٣٤).

لا شک فی أن التمتع لو يكون مبنياً علی الظلم والكفر يعتبر مثالا بارزا للعمل المنكر لأنّ فی الموقف القرآنی، دائرة شمول كلمة المنكر واسع إلی حد يشمل الاغتصاب والاعتداء علی الطبيعة أيضاً. كما يعتبر هذا الشمول لعمران الأرض ويشمل صيانة وتطوير الطبيعة أيضاً.

فمن البديهی أن الأُمة الإسلامية التی يعتبر الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر كأهم ميزاته من موقف القرآن:

﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاس تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ... ﴾ (آل‌عمران/١١٠)

مع إضفاء الطابع المؤسسى لثقافة الأمر بالحفاظ على الطبيعة يستطيع أن يكون صاحب هذا اللواء فى العالم. ويستفيد رجال الحكومة الإسلامية من سلطتهم لتعزيز الحفاظ على الطبيعة كالمعروف والمعارضة ضد دمارها كالمنكر:

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُم فِي الأرضِ أَقَامُوا الصَّلَوة وَءَاتَوُا الزَّكَوة وَأَمَرُوا بِالمَعرُوفِ وَنَهَوا عَنِ المُنكَرِ وَلِلهِ عاقِبَة الأُمُورِ﴾ (حج/ ۴۱).

۶-۳.الملكية

الملكية الحقيقية لجميع المخلوقات بما فيها من الإنسان والطبيعة لله سبحانه وتعالى:

﴿وَلِلهِ مُلكُ السَّماوات وَالأرضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران/ ١٨٩)

وكل المخلوقات فى يد قدرته(القرطبى، ١۴٠۵، ٣٠٨ : ۴)؛ و

﴿...لَهُ مَا فِي السَّماوات وَالأَرضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة/١١۶).

المالكية الحقيقية التى يختص بالله تعالى لا يقبل التحويل للإنسان:

﴿... وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلكِ... ﴾ (الإسراء/ ١١١).

لذا لا يستحق للإنسان أن يحق نفسه فى مالكية الحقيقية للكائنات الطبيعية ويستخدمها فى حال يضرّ بها ويدمّرها. الإمكانيات التى منح للإنسان باعتبار ملكيته الإئتمانية هى فى الواقع وديعة إلهية والإنسان قيّمه وهو مملوك الله تعالى:

﴿ءَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّستَخلَفِينَ فِيهِ... ﴾(الحديد/ ٧)

فالله تعالى فضّل الإنسان على جميع المخلوقات وكرّمه ثم جعله كخليفته فى الأرض ولذلك أذن له فى إستخدام ما بقى من مخلوقاته. لذلك الإنسان كمالك غير حقيقى مأذون يستطيع أن يستفيد منها فى إطار مأذون له مع العمل بالأحكام واللوائح التى وضعت له. هكذا لا يمكنه أن يستولى بشكل غيرمشروع عليها وتلوث الطبيعة يعتبر كنوع من هذا الإستيلاء وهو ظلم.

الإنسان للتعامل مع نفسه والآخرين وبقية المخلوقات يجب أن ينصب أمام عينيه مملوكية نفسه وسائر مخلوقات العالم بالقياس مع الله السبحان، ويحاول فى تحصيل إذن

المالک الکون المطلق. أخذ هذا الإذن لا یمکنه إلا بالتبعیة عن أوامره والإجتناب عن نواهیه التی تبینت بواسطة أنبیاءه ورسله فی الأدیان الإلهیة(جوادی آملی، بی تا: ۱۷۲)، فالتصرف فی الطبیعة لا یجوز إلا فی إطار التعالیم الأخلاقیة والحقوقیة التی وضعها الدین. الإستخدامات الضارة التی یضر الکائنات تعتبر کالظلم وهی محرمات والذی یرتکبها یستوجب العقاب الإلهی. لأنّ الله تعالی لا یقبل الظلم علس أیٍّ من الکائنات:

﴿...وَمَااللّٰهُ یُرِیدُ ظُلماًلّلعالمینَ﴾(آل عمران/ ۱۰۸).

۷-۳. النعمة

الطبیعة وما فیها هی من مظاهر النعم الإلهیة للبشر:

﴿وَمَابِکُم مِّن نِعمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾(النحل/۵۳)

والنعمة بمعنی صحة الجسم وتوفر الرزق والأولاد(القرطبی، ۱۴۰۵، ۱۱۴: ۱۰)، فالله وهب هذه النعم للإنسان حتی یشکره والشکر بمعنی الإستخدام الصحیح منها، وهذا الإستخدام الصحیح ینتهی إلی زیادة النعمة أو الإستمتاع بنعمة أخری، کمکافأة لعملیته الصحیحة فی التمتع بالنعمة: ﴿...لَئِن شَکَرتُم لأزِیدَنَّکُم...﴾(ابراهیم/ ۷)، ولکنه لو ینتهی استمتاعه بتلوث وتخریب الطبیعة هذا بمعنی کفرانه للطبیعة التی یعتبر کنعمة کبیرة فیستحق عقابا دنیویا وهو فقدان هذه النعمة والموهبة الإلهیة: ﴿...وَلَئِن کَفَرتُم إنَّ عَذَابِی لَشَدِیدٌ﴾(ابراهیم/ ۷)، کفران النعمة یعتبر کالمعارضة مع الحق الإلهیة وتجاهل نعمه(القرطبی، ۱۴۰۵، ۳۴۳ : ۹).

الإقصاء من النعم الإلهیة ینتج عن حقیقة ناشئة عن الخصائص الداخلیة مثل الحرص والطمع والتجاهل بالسنن والمعاهدات الإلهیة:

﴿ذَلِکَ بِأنَّ اللهَ لَم یکُ مُغَیرًا نِّعمَة أنعَمَهَا عَلَی قَومٍ حَتَّی یغَیرُوا مَا بِأنفُسِهِم...﴾(انفال/ ۵۳)

فتغییر هذه النعم یوجب العذاب(القرطبی، ۱۴۰۵، ۲۹ : ۸). لذا جذور أزمة الطبیعة هی فی داخل الإنسان وعبارة عن الأزمة الأخلاقیة والداخلیة وعملیته غیر الشرعی بالنسبة للطبیعة والنعم الإلهیة الأخری:

﴿فَکَفَرَت بِأنعُمِ اللهِ فَأذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوفِ بِمَا کَانُوا یصنَعُونَ﴾(النحل/ ۱۱۲)

فکفران النعمة هو الفتنة ویسبب فی زوال النعمة(القرطبی، ۱۴۰۵، ۱۹۴: ۱۰). وفی المقابل رعایة الحدود والسنن الإلهیة والتزام الإنسان علی المبادئ البیولوجیة علی أساس التعالیم السماویة یسبب فی ازدهار وعذوبة الطبیعة ویمهد الأرضیة لأقصی تمتع ممکنه من الطبیعة: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾(الجن/ ۱۶) وهذا کنایة عن انفتاح لهم فی الدنیا ووفرة رزقهم(القرطبی، ۱۴۰۵، ۱۷ : ۱۹)، والایمان والعمل إلی الإوامر الإلهیة یسبب فی تمتعه بالنعم السماویة والأرضیة:

﴿ وَأَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾(المائدة/ ۶۶)

فیتناول من الآیات الشریفة بأنّه توجد علاقة مباشرة بین التعاملات البشریة من جانب ومع الطبیعة من جانب اخری. کما أن سوء التعاملات بین أفراد البشر ینتهی بظهور الفساد فی البر والبحر

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(روم/ ۴۱)

وحسن التعامل بینهم ینتهی بانفتاح أبواب البرکة اسماویة والأرضیة:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾(اعراف/ ۹۶).

یکتب *الراوندی* فی شرح آیة:

﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾(طه/ ۸۱):

«عدم الطغیان هو بمعنی التمتع بالنعم الإلهیة علی وجه غیر المحرّم ولو کان هذا التمتع بوجه محرّم یستوجب الغضب الإلهی»(الراوندی، ۱۴۰۵،ج۲: ۲۳). هذا الوصف یحکی عن تعدی الإنسان علی موارد النعم الطبیعیة وسوء استخدام لقدرة تسخیر الطبیعة والتجاهل بالسنن الإلهیة فی تسخیرها.

لذا التعالیم التی تشتمل علی المبادئ الأخلاقیة فی التعاملات البشریة لها نتایج ایجابیة فی ازدهار وتنمیة الطبیعة. علاوة علی هذا قرر فی النصوص الدینیة الثواب والمکافأة لتنمیة عناصر الطبیعة. کما یقول *النبی الأکرم*: «من سقی طلحة أو سدرة فکأنّما سقی مؤمناً من ظمأ»(العلامة المجلسی، ۱۴۰۳،ج۹ :۲۱۲)، فثواب غرس الشجر، وحفر البئر

لعمـران الأرض يقـاس بثـواب التعلـيم وبنـاء المسـجد وتوريـث القـرآن والأولاد الـذين يستغفرون لوالديهم وهذا الثواب يرجع على الإنسان بعد موته(نهج الفصاحة، ۴۹۷ : ۱).

فبعض الروايات تعتبر الحياة الفاقدة من الهـواء النقـى، المـاء الـزلال، الأرض الخصـيبة وقابلة للزراعة صعبة جداً(علامه مجلسى، ۱۴۰۳، ۲۳۴: ۷۵). جاء فى بعض الروايات لو قام القيامة وكان فى يد انسان شجرة يجـب إن يغرسـها(نـورى، ۱۴۰۸، ۴۶۰: ۱۳). وعشـرات أمثال لهذه الأقوال موجودة التى تدل على ضرورة اتحفظ بالطبيعة وتنميتها. وهذه عـلاوة على الأقوال التى جاءت فى محذورية التعدى إلى الطبيعة كما قال *النبى الأكرم*(ص): «لا تقطعوا الأشجار لأنه يأتيكم بالعذاب الإلهى»(الحر العاملى، بى تا، ۱۹: ۳۹).

فمن مجموع هذه المقترحات الايجابية والسلبية تستظهر الأوامـر والنـواهى الإرشـادية والأخلاقية أو الأحكام التكليفى فى الإستحباب أو الكرهة.جاء القرآ الكريم ببعض من هـذه الأوامر والنواهى جنباً على جنب وأمر بالتمتع المتوازن بالطبيعة ونهى عـن عـدم التـوازن. فيعتبر الإسـراف كعامـل لفقـدان المحبـة الإلهيـة: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف/۳۱)؛ فيقول *القرطبى*: إن «تسرفوا» تحرم شيئاً مـا كـان حرامـاً قبـل الإسراف(القرطبى، ۱۴۰۵، ۱۹۵: ۷)، فيعتبر المسرفين من أهل الجحيم:

﴿أَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾(المؤمن/ ۴۳).

بالتأمل فى هذا القسم من الآيات يمكننا استخراج القواعد الإلزامية والحقوقية والأحكام التكليفية فى حرمة دمار الطبيعة واستخدامها غير صحيحة وأيضاً وجوب التحفظ بها.

فاستلمنا من أمثال مفاهيم الخلق، الرحمة والآية والخلافة والتسخير والملكية والنعمـة فى القرآن الكريم أنّ الطبيعة هى تراث الإلهى للكائنات الحية والبشر، فيجب على الإنسان أن يهتم بعمرانها مع رعاية السنن الإلهية ويصونها عـن المتلوثـات والخـراب. لهـذا يعتبـر البشر مسؤولاً أمام الله والكائنات والكون كلّه.

۴.التطبيق لجريمة التعدى بالطبيعة

يتكلم القرآن الكريم من توازن الطبيعة بعبارة «موزون» فيقول:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾(حجر/ ۱۹).

أذن الله للبشر أن يتمتعوا بشكل حلال عما جعل خصصت لهم، فلهذا لا يستحق الإنسان أن يستفيد من النعم الإلهية خارج عن أوامره ويجب أن يكون تصرفاته حلال ومجاز(الراوندی، ۱۴۰۵، ۲: ۲۱).

من البديهی أن كل تصرف فی الطبيعة الذی ينتهی بخلل فی توازن الطبيعة يعتبر كفساد فی الأرض لذا يقول: ﴿...وَلاتُفسِدُوافِی الأرضِ بَعدَ إصلاحِها...﴾(اعراف/ ۸۵). التحفظ بتوازن البيولوجی والإصلاح فی الأرض يعتبر من المظاهرالبارزة للإلتزام بالعهد الإلهی ومن البديهی أن التجاهل بهذا العهد يستوجب الخسران:

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهدَ اللهِ مِن بَعدِ مِيثَاقِهِ وَيَقطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفسِدُونَ فِی الأَرضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعنَةُ وَلَهُم سُوءُ الدَّارِ﴾(الرعد/ ۲۵)

القرآن الكريم يعتبر التعدی ألی حريم الطبيعة وتضييع مواردها البيئية كالإعتداء ويقول: ﴿ والّذينَ كَفَروا وكذَّبوابِآياتِنااولئكَ أصحابُ الجَحيمِ﴾ (المائدة/ ۸۶) وهذا التعدی يسبب فی عقاب المتعدی(الراوندی، ۱۴۰۵، ۲۶۳: ۲).

استنتجوا بعض من الدارسين من هذه الآية بأن من موقف القرآن الإنسان الذی يفسد فی الأرض، ويتعدی الحدود الإلهية وينقطع علاقته مع الله يبتعد من الرحمة الإلهية(محقق داماد، ۱۳۷۱: ۲۷۹). فالقرآن الكريم مع تعريف بحق تمتع البشر من ارزاق الأرض المكنونة لايقبل بأی طغيان فی التمتع بها(الراوندی، ۱۴۰۵، ۲۳: ۲).

﴿كُلُوامِن طَيِّبَاتِ وَلاتَطغَوافِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيكُم غَضَبِی وَمَن يَحلِل عَلَيهِ غَضَبِی فَقَد هَوَی﴾ (طه/ ۸۱)

فالقرطبی يستنتج من هذه الآية بأن يجب أن لا ينتهی وفور النعمة إلی عصيان الله، لأن العصيان بمعنی الإستخدام الخارج عن الحد المجاز بها شرعاً(قرطبی، ۱۴۰۵، ۲۳۰: ۱۱). مع إمعان النظر فی النهی عن الطغيان فی التمتع بالرزق الإلهی يمكن الإستنتاج بحرمة تخريب البيئة المعيشية ومنع الآخرين من التمتع بها. ومن البديهی أن الذی بتمتعه يكون مانعاً للآخرين مشمول لغضب الله وفی النهاية يفشل ويسقط.

من الآيات القرآنية التی تتناول موضوع التعدی إلی الموارد الطبيعية، نفهم بأن التعدی إلی حريم الطبيعة ومواردها البيئية يعتبر كذنب يجیء بغضب الله. لذا يمكن تعيين عقاب هذه الجريمة بالنظر إلی قواعد الحقوق الجنائية فی الإسلام. كتب بعض من المؤلفين فی

هذا المجال: «آيات القرآن الكريم وأحاديث الأئمة المعصومين تتبين اهمية الطبيعة ووجوب الحماية منها وضرورة الإجابة فی کل المجالات»(قاسمی، ۱۳۸۰: ۱۳۳). هکذا دمار البيولوجية، الإفساد فی الإرض، يعتبر کالتظلم ألی البشرية والکائنات الحية الاخری ومن مظاهر الجلية للإثم. تلويث الماء والتراب والهواء، الذی ينتهی بالضرر إلی البشرية والکائنات الاخری يجب أن يعتبر کالظلم وهو حرام فيتطلب بمکافأة متناسبة معها ويجب استخراج أساليب دفع خسارتها من المصادر الفقهية بالإجتهاد.

کما کتب بعض المحققين تتعين القواعد الإلهية واجبات الإنسان قبال النظم العادی الحاکم علی الطبيعة بصراحة. فالإنسان کما کتب له الشرع علاوة إلی استعانة الآخرين ورفع حوائج السائلين موظف بأن لا يتلوث الماء والتراب. موظف أن يرحم إلی والديه، يغرس الشجر ويربی الحيوانات بالرأفة ويحميها ويحتفظ بسلامة بيئتهم المعيشية من الدمار(محقق داماد، ۱۳۷۱، ۱۸۲). قسم الله تعالی فی القرآن الکريم إلی المخلوقات المتنوعة فی الطبيعة: «وَالتِّينِ وَ الزَّيتُونِ وَ طُورِ سِينِينَ»، «والفجر»، «والنجم»، «والطور»، «والضحی»، «والذاريات»، «وَالشَّمسِ وَضُحاهَا وَالقَمَرِ إِذَا تَلاهَا...»، هذا اليمين يحکی عن مکانة هامة للطبيعة عند الله فيجب المحاولة للتحفظ بهذه العناصر کما يحکی عن هذه الأهمية تسميةالسور القرآنيةبهذه الأسامی: سور البقرة، الرعد، النحل، النور، النمل، العنکبوت، الدخان، النجم، الجن، الفجر، الشمس، الحديد، الليل، الضحی، القمر، التين، العلق، الناس، الفلق والبروج.

فکيف يمکن أن ننظر إلی هذه العناصر بعين الإغماض ونتبادر بتخريبها وأنها ذات هذه المکانة الخاصة عند الله. فالأمر الوحيد الذی يسوق البشر ألی التعدی إلی هذه العناصر هو الغفلة من الله تعالی. الإنسان الذی يؤمن بتعاليم ک﴿...وَجَعَلنَامِنَ المَاءِ کُلَّ شَیءٍ حَی...﴾ (الأنبياء/ ۳۰) ويعتبر نمو النبات من هذا الماء بأمر الله: ﴿وَهُوَالَّذِی أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخرَجنَابِهِ نَبَاتَ کُلِّ شَیءٍ...﴾ (انعام/ ۶۶) ويعتبرها کميراث مشترک لجميع البشر الذی له قدر معين: ﴿إِنَّا کُلَّ شَیءٍ خَلَقنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (قمر/ ۴۹) ويعتبر نمو النباتات فی الأرض کأمر موزون: ﴿وَالأَرضَ مَدَدناها وَأَلقَينَا فِيهَا رَوَاسِی وَأَنبَتنَا فِيهَا مِن کُلِّ شَیءٍ مَّوزُونٍ﴾(حجر/ ۱۹) فهو لا يجوز نفسه أن يتلوث الطبيعة ويختلّ توازنها. العقيدة العميقة بأن الماء والتراب والهواء موهبات إلهية يتوجه الإنسان المؤمن إلی تعزيز هذا الميراث المشترک للبشرية وللکائنات الاخری.

نتيجة البحث

القرآن الكريم يشتمل على المقترحات الوصفية فى مجال الطبيعة فالقسم الإلهى إلى العناصر الطبيعى، وتسمية سور القرآن بأساميها يحكى عن مكانتها الرفيعة عند الله وفى الثقافة القرآنية. من أمثال مفاهيم الخلق، الرحمة والآية والخلافة والتسخير والملكية والنعمة تعتبر من المفاهيم الأساسية لفهم موقف القرآن فى مجال الطبيعة وحقوقها.

القرآن الكريم يشتمل على التعاليم التى تحكى عن تفاعل الإنسان مع الطبيعة، فيعتبر تعدى الإنسان إلى الطبيعة كالإعتداء والإفساد فى الأرض ويقدّم المتعدى كمحروم من الرحمة الإلهية الذى يستحق غضبه وعذابه. علاوة على المسؤولية الاخروية الناتج عن التعدى إلى الطبيعة فله مسؤولية مدنية وجزائية فى الحقوق الإسلامية. *قطب الدين الراوندى* و*محمد القرطبى* فى تفسيريهما الفقهية تكلموا عن الأحكام التشريعية للمتجاوزين على الحدود والذين يستغلون الطبيعة والنعم الإلهية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر و المراجع

العربية

القرآن الكريم

نهج البلاغة

نهج الفصاحة

حر عاملی، محمدبن حسن. لا تا، **وسایل الشیعة**، ج ۱۸و ۱۹ و ۲۵، قم: مؤسسه آل البیت(علیهم السلام) لاحیاء التراث.

الراوندی، قطب الدین سعید بن عبداللّه. ۱۴۰۵ ق، **فقه القرآن**، قم: انتشارات کتابخانه آیة الله مرعشی نجفی(رحمه الله).

الطباطبایی، محمدحسین. ۱۳۹۳ق، **المیزان فی تفسیر القرآن**، ج۱و ۱۶، بیروت: مؤسسه الاعلمی للمطبوعات.

القرطبی، ابن رشد. ۱۴۰۵ ق، **الجامع لاحکام القرآن**، بیروت: دارالکتب العلمیة.

القمی، علی بن ابراهیم.۱۴۰۴ق، **تفسیر القمی**، ج۱، قم: دارالکتاب للطباعة والنشر.

المجلسی، محمدباقر. ۱۴۰۳ق، **بحار الأنوار**، ج ۲و ۹و ۷۵بیروت: دار إحیاء التراث العربی.

معرفت، محمدهادی. ۱۴۱۹ ق، **التمهید فی علوم القرآن**، مشهد: الجامعة الرضویة فی العلوم الاسلامیة.

نجفی، محمد حسن. ۱۳۶۵ش، **جواهر الکلام**، ج ۲و ۴۱، دارالکتب الاسلامیة.

النوری، حسین. ۱۴۰۷ق، **مستدرک الوسائل**، ج ۱۳و ۱۷، بیروت: مؤسسه آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث.

الفارسية

الماسی، نجاد علی. ۱۳۷۷ش، **طبیعت، اشیا و حقوق**، تهران: نشر دادگستر.

ابن ابی جمهور، محمد بن زین الدین. ۱۴۰۵ق، **عوالی اللئالی**، ج ۱و ۴، قم: سیدالشهدا.

جوادی آملی، عبدالله. ۱۳۸۶ش، **اسلام و محیط زیست**، مرکز نشر اسراء.

الراغب الإصفهانی، حسین بن محمد. ۱۳۷۶ش، **معجم مفردات الفاظ القرآن**، انتشارات مرتضوی.

رستمی، محمد حسن. ۱۳۸۰ش، **سیمای طبیعت در قرآن**، رسالة الماجستر؛ جامعة قم.

علیزاده، میرزا. ۱۳۹۱ش، **جریان شناسی تفاسیر فقهی؛ تاریخ، تطور و نمونه ها(فقه القرآن)**، مشهد: دانشگاه علوم اسلامی رضوی.

محقق داماد، مصطفی. ۱۳۷۱ش، «**طبیعت و محیط زیست انسان از دیدگاه اسلام**». مجلة رهنمون، الأعداد ۲و۳.

مطهری، مرتضی. ۱۳۵۳ش، **عدل الهی**، قم: مؤسسه انتشارات اسلامی.

مطهری، مرتضی. ۱۳۸۱ش، **مجموعه آثار**، ج۲، قم: صدرا.

مکارم شیرازی، ناصر. ۱۳۶۲ش، **تفسیر نمونه**، ط ۲۱، ج ۱۷، دارالکتب الاسلامیة.

مهدوی راد، محمدعلی و دیگران. ۱۳۹۱ش: **جریان شناسی تفاسیر فقهی؛ تاریخ، تطور و نمونه ها (الجامع)**، مشهد: دانشگاه علوم اسلامی رضوی.

نصر، حسین. ۱۳۸۲ش، **نیاز به علم مقدس**، ترجمه حسن میانداری، تهران: مؤسسه فرهنگی طه.

نقیبی، ابوالقاسم. ۱۳۸۹ش، **محیط زیست و حقوق آن از منظر قرآن کریم**، موقع راسخون.

المقالات

النجفی اسداللهی، سعید و شفیع برهانی. دی ۱۳۸۷، «**مباحث لغویة فی تفسیر الکشاف**»، فصلیة دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد الإسلامیة فی جیرفت، سنة ۱، عدد ۲، صص ۱۵۳- ۱۶۸.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی